زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسى

رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

شرح

منظومة السير إلى الله تعالى والدَّارِ الآخرةِ

للعلامة السعدِي رحمه الله تعالى

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الخبير الكريم، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أمَّا بعد

في هذه الدورة الأسبوعية وهي السابعة[١] اخترنا لكم نظْماً جميلاً وعظياًّ من نظمِ العلامة عبد الرحمن ابن السعدي رحمه الله تعالى نظمها في باكورة شبابه، واستقى كثيراً من معانيها ومنازلها من كتاب "مدارج السالكين" لابن القيم رحمه الله تعالى.

وقد شرحها الشيخ بشرح مختصر، أظنه طُبع وأيضاً شرحها كثيرون ممن عاصر الشيخ، وأيضاً وممَّن جاء بعده ولا تزال تُشرح الى أيامنا هذه.

عنوان هذا النظم (منظومة السير الى الله والدار الآخرة)، يشرح فيها منازل السير الى الله سبحانه وتعالى، ومنازل الفوز برضوانه والنجاة من نيرانه.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم جميعا إلى ما يحب ويرضى،وأن يجعل هذا العلم شاهداً لنا لا علينا، ونسأله عز وجل أن يوفقنا وإياكم للسير إليه على الطريقة التي يرضاها سبحانه وتعالى.

كتبه أبو عبد الله محمد المصنعي

عام ١٤٤٣هـ المدينة النبوية

---

(١) وأصل هذه الدروس صوتيات قام بتفريغها أخونا الشيخ أسامة بن أوحيدة الليبي وفقه الله تعالى، وأصلحنا فيها ما تيسر مما يتوافق مع الكتاب، والله الموفق.

نص منظومة السير إلى اللهِ تعالى والدَّارِ الآخرةِ(١)

١- سَعِدَ الذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى ... وتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

٢- فهُمُ الذِينَ قَدَ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ ... مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإِيْمَانِ

٣- وهُمُ الذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ ... بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

٤- وَهُمُ الذِينَ مَلاَ الإِلَهُ قُلُوبَهُمْ ... بِوِدَادِهِ ومَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ

٥- وهُمُ الذِينَ قَدَ اكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ ... فِي السِّرِ والإِعْلاَنِ والأَحْيَانِ

٦- يَتَقَرَّبُونَ إِلَى المَلِيْكِ بِفِعْلِهِمْ ... طَاعَاتِهِ والتَّرْكِ لِلعِصْيَانِ

٧- فِعْلُ الفَرَائِضِ والنَّوافِلِ دأْبُهُمْ ... مَعْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ والنُّقْصَانِ

٨- صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى المَكَارِهِ كُلِّهَا ... شَوْقاً إِلَى مَا فِيْهِ مِنْ إِحْسانِ

٩- نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمُ بِهَا ... قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وأَمَانِ

١٠- شَكَرُوا الذِي أَوْلَى الخَلاَئِقَ فَضْلَهُ ... بِالقَلْبِ والأَقْوَالِ والأَرْكَانِ

١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ... مَعْ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فَتَبَوَّؤُا فِي مَنْزِلِ الإِحْسانِ

١٣- نَصَحُوا الخَلِيْقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِم ... بِالعِلْمِ والإِرْشَادِ والإِحْسانِ

١٤- صَحِبُوا الخَلاَئِقَ بِالجُسُومِ وإِنَّمَا ... أَرْوَاحُهُم فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

١٥- رَعَوُا الحَقَائِقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا ... خَوْفاً عَلَى الإِيْمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

---

(١) ٢- (قدَ اخلصوا) بفتح الدال بعده همزة وصل عند النطق. ٣- (الرجا) بدون همزة.

٤- (ملا) بدون همزة. ٥- (قد اكثروا) بفتح الدال، بعده همزة وصل. (مع) بسكون العين.

١٦ - عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا قَـدْ فَرَّغُوهَـا مِـنْ سُـوَى الـرَّحْمَنِ

١٧ - حَرَكَـاتُهُمْ وَهُمُـومُهُمْ وَعُـزُومُهُمْ للهِ لَا لِلْخَلْـقِ وَالشَّـيْطانِ

١٨ - نِعْمَ الرَّفِيْـقُ لِطَالِـبِ السُّـبُلِ الَّتِي تُفْضِـي إِلَى الخَـيْرَاتِ وَالإحسـانِ

****

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله تعالى:

١- سَـعِدَ الـذِينَ تَجَنَّبُـوا سُـبُلَ الـرَّدَى   وتَيَمَّمُــــوا لِمَنِـــازِلِ الرِّضْـــوَانِ

الشرح:

افتتح هذا النظم بهذا البيت كبيان لمراده من هذا النظم، وهو بيان سبل السعادة في الدنيا والآخرة، وأنَّ السعادة في الدارين هي في السير الى الله عز وجل، وفي الإقبال عليه.

وذلك لا يتمُّ إلَّا بأمرين اثنين: الأول: التخلية. والثاني: التحلية

فالأول: اجتناب سبل الردى والهلاك والضلال الى آخره.

وأصول الهلاك والضلال ترجع الى ثلاثة أصول:

الشرك و البدع والعصيان.

هذه هي أصول الردى والهلاك، وهي أصول كل شرٍّ على وجه الأرض.

وهذه الأصول الثلاثة للردى والهلاك تقع بأحد ثلاثةٍ أسباب أو بمجموع هذه الثلاثةُ،

وهي: نقص الدين ونقص العلم ونقص العقل.

فمن كان دينه ركيكًا أو لا دين له بالكلية فيأتي منه الشرك، وتأتي منه البدع والضلالات، وتأتي منه المعاصي، بسبب نقص دينه وإيمانه.

وهكذا نقص العلم يؤدي الى العمل بجهل، ويؤدي الى الوقوع في شركيَّات وهولا يعلم، إلى إحداث بدع وهو يجهل حقيقتها، الى الوقوع في معاصيٍ وهو لا يعلم مدى أثرِها.

كذلك نقص العقل قد يكون الشخص عنده علم وصاحب دين وورع، لكن بسبب ضَعف عقله يُحدث شروراً كثيرة، ويُحدث بدعاً وضلالات.

ولو قرأت في تراجم بعض العلماء الذين ابتُلوا بالبدع لرأيت عندهم من الزهد والدين والايمان والورع، وفي مؤلفاتهم ما يدل على سعة علمهم، لكن بسبب نقصٍ في العقل الذي يجعل الشخص لا يرى الحق كما هو، فالبدع تغطي العقول.

نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية.

والأمر الثاني: التحلية.

من أسباب السعادة والسير الى الله عز وجل أن تُجْمع الهمة على همَّ الآخرة ورضى الله سبحانه وتعالى، ومما يدل على ذلك حديث زيد بن ثابت الذي أوله: (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئٍ مسلم)، وفي آخره قال: (ومن كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، ومن كانت الدنيا همه فرَّق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما كُتِبَ له).

فجمعُ الهمة على ما يرضي الله سبحانه وتعالى وعلى السير إلى الدار الآخرة يُعِين الشخص على سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، ويجنِّبه سبل الردى والهلاك، (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) رواه مسلم.

من دخل الجنة فقد استكمل السعادة، ومن دخل النار فقد استكمل الشقاوة.

وقد جُمِعَ هذين الأمرين وهو اجتناب سبل الردى وتيمم (أي: القصد) منازل الرضوان في قول الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحَاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

وهذه المنزلة الأولى- جمع الهمة على الآخرة.

دل عليها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حياة طيبة في الدنيا، وحياة طيبة في الآخرة. نسأل الله تعالى من فضله



٢- فهُمُ الذِينَ قـدَ اخْلَصُـوا فِي مَشْـيِهِمْ مُتَشَرِّ عِينَ بِشِرْعَةِ الإِيْمَانِ

الشرح:

شرع في بيان منازل السير الى الله عز وجل بعد ذكر المنزلة الأولى التي هي أصل جميع المنازل.

المنزلة الثانية، من منازل السير الى الله تعالى الإخلاص.

(أخلصوا في مشيهم) يعني: أخلصوا في سيرهم الى الله سبحانه.

والإخلاص: هو أن يقصد العبد بجميع أعماله وجه الله سبحانه وتعالى، وأن يكون متباعداً عن الشرك والبدع، والرياء والسمعة وقصد الدنيا.

فيجعل العبادات كلها لله سبحانه وتعالى، ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾.

فمن التزم هذه المنزلة العظيمة التي تعتبر من أعلا وأفضل منازل السير الى الله عز وجل فقد بلغ رُتبةً عظيمة.

والإخلاص هو السر الذي رفع الله جل وعلا به الأنبياء والصالحين والصادقين، انظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابة: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) أُحد: هذا الجبل بالمدينة النبوية.

قال أهل العلم: الفارق الكبير بين الأجرين بسبب ما وقر في القلوب.

المنزلة الثالثة: وهي منزلة الاتباع.

مأخوذة من قوله: (متشرعين بشرعة الإيمان) أي: لا يعبدون الله عز وجل إلَّا بما شرع لا بالبدع والأهواء، فجميع عباداتهم ومعاملاتهم وسيرهم الى الله عز وجل منضبطٌ بالكتاب والسنة: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

لأنَّ البدع تباعد عن الله عز وجل.

كما قال بعض السلف: كلما ازداد المبتدع تعبداً ازداد من الله بُعداً.

فالبدع ضلال (كل بدعة ضلالة)، والعمل المبني على البدع مردود على صاحبه، كم من شخص يُظهِر التنسُّك والتَّعبُّد لكن تظهر عليه بدعٌ كثيرة كحال الصوفية، بسبب ضعف اتباعهم.



٣- وهُـمُ الـذِينَ بَنُـوا مَنَـازِلَ سَـيْرِهِمْ بَــيْنَ الرَّجَــا وَالخَــوْفِ لِلْــدَيَّانِ

الشرح:

المنزلة الرابعة والخامسة : هما منزلتا الرجاء والخوف.

وهما من أهم منازل السير إلى الله سبحانه وتعالى.

الرجاء: حسن الظن بكرم الله عز وجل وعفوه ورحمته.

أن يعمل الإنسان الصالحات وهو يحسن الظن بالله عز وجل أن يقبل عمله وأن يُعظِم أجره، ويحتسب ذلك على الله سبحانه.

إذا وقع في ذنب أقبل على التوبة يرجو من الله تعالى العفو والمغفرة والرحمة، هذا هو الرجاء وهو من أوسع منازل السير الى الله تعالى.

والخوف: سوء الظن بالنفس والعمل، والوجلُ من آثار التقصير وعقوبة الذنوب.

الشخص لا يغتر بنفسه ولا بعمله ولا يأمن عواقب ذنوبه. فإن الله عز وجل غافر الذنب شديد العقاب، وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الرجاء والخوف في أول سورة: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ كما ذكرناه في تفسير سورة الفاتحة.

وقد ذكر سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل وأتباعهم بهذه الصفة: الرجاء والخوف كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُون وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ ﴾.

فهم مع كثرت الأعمال الصالحة لا يزال الخوف في قلوبهم، يخافون ربهم تعالى ويرجون أيضاً رحمته، ومن تأمل هذا في القرآن الكريم يجده كثيراً.

****

٤- وَهُـمُ الـذِينَ مَـلاَ الإلَـهُ قُلُـوبَهُمْ بِـــوِدَادِهِ ومَحَبَـــةِ الـــرَّحمَنِ

الشرح:

المنزلة السادسة: المحبة لله تعالى ولما يحبه عزو جل من الأقوال والأعمال.

وهذه المنزلة هي أصل المنازل، وأعظم ما يوصل الى الله سبحانه وتعالى، لأن المحبة بمنزلة القائد الذي يجرك ويقودك الى الله سبحانه وتعالى.

والخوف بمنزلة الزاجر من الخلف إذا التفت يميناً أو شمالاً زجرك.

وللمحبة علامات تظهر على المحبين :

منها ما سبق ذكره في المنازل الأولى، من التوحيد متابعة الشرع، ومجانبة ما يضاد ذلك: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾

وقال سبحانه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾.

الإيمان ومحبةُ الله عز وجل تنافي محبة من يشرك بالله تعالى، وتنافي كمال محبة المبتدع الذي خالف شرع الله سبحانه وتعالى.

(ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار).

هذا هو دليل محبة الله سبحانه وتعالى، فمن امتلأ قلبه بحب الله عز وجل أخرج منه كل رَغبة في غيره، يكره الشرك، يكره الذنوب، يكره البدع، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

****

٥- وهُمُ الـذِينَ قـدَ اكْثَـرُوا مِـنْ ذِكْـرِهِ فِي السِّرِ ـ والإعْـلَانِ والأحْيَـانِ

الشرح:

المنزلة السابعة: الإكثار من ذكر الله سبحانه.

وهي من آثار المنزلة السادسة وهي المحبة.

فانظر أين أنت من الذكر القولي والفعلي؟ فمن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، وتردد اسمه على لسانه، والذكر شيءٌ عظيم وباب جميل وكبير، وله آثار طيبة على إيمان الشخص وعبادته، وعلى رغبته في ما عند الله سبحانه.

وحينما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن باب يجمع النوافل، قال: (لا يزال لسانك رطْباً من ذكر الله). سواءً في السر أي: لوحده أو كان في العلن بين الناس، والأصل في الذكر الإسرار، ويعلن من الذكر ما دل الدليل على ذلك.

(والأحيان) يعني جميع الأحيان، كما قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ﴾. أقل منازل الذاكرين الله تعالى كثيرًا أن يحافظوا على الأذكار المؤقتة، كأذكار الصباح والمساء وعند النوم وبعد الصلوات وعند الدخول والخروج واللباس، إلى غير ذلك من الأذكار المقيدة.

هذه المنزلة منزلة الذكر ليست لكل الناس إنما هي للسابقين، (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيراً والذاكرات).

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

****

٦- يَتَقَرَّبُـــونَ إِلَى المَلِيْـــكِ بِفِعْلِهِـــمْ طَاعَاتِـــهِ والـــتَّرْكِ لِلعِصْـــيَانِ

الشرح:

المنزلة الثامنة، هي: الحرص على القرب منه سبحانه وتعالى والتقرب إليه.

والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى يكون بأمرين: بفعل الأوامر وترك النواهي.

الأوامر، يشمل: الفرائض والواجبات والنوافل ووسائلها.

والنواهي، يشمل: المحرمات والمكروهات وما يكون من الورع تركه، ووسائل ذلك.

فهذا هو سبيل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وذكرَ لفظ التقرب: (يتقربون إلى المليك)، لأنَّه الوارد في الحديث القدسي الذي في البخاري، من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا قال: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إلي مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّه).

فهذه هي الطاعات التي تقرب من الله سبحانه وتعالى: فعل الأمر وترك النهي لا يتم القرب منه سبحانه وتعالى إلَّا بالأمرين معاً.

أمَّا من خلط عملاً صالحاً وآخرَ سيِّـئًا كحالنا فإن له من القرب بقدر الطاعات وله من البعد بقدر السيئات.

هؤلاء الذين يحرصون على التقرب إلى المليك سبحانه وتعالى، هم السابقون بالخيرات الذين وصفهم الله عز وجل بالسبق: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، وقال الله عز وجل في ورثة القران الكريم: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾، وقال تعالى: ﴿سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾.

وذكر من أسماء الله عز وجل المليك إشارة إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، فمن كان أكثر تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى في الدنيا، كان أقرب منه سبحانه وتعالى في جنات النعيم.



٧- فِعْـلُ الفَــرَائِضِ والنَّوافِـلِ دِأْبُهُــمْ مَــعْ رُؤْيَــةِ التَّقْصِــيرِ والنُّقْصَــانِ

الشرح:

المنزلة التاسعة: عدم الاغترار بالعمل.

فهؤلاء السائرون إلى الله عزو جل جمعوا بين الحرص على فعل الأوامر وترك النواهي والوجل، ومع ذلك ليس هذا لمدة قصيرة أو نشاط عارض، بل هذا وصفهم وهذا حالهم طوال حياتهم، (دأبهم) يعني: طوال حياتهم.

(مع رؤية التقصير والنقصان) مهما بلغ العبد من العبادة والدِّين والتقوى لا يزال في قصور في حق الله تعالى، ومع ذلك فإن الانسان يخاف حتى وإن عمل يخاف ألا يقبل منه، أو يخاف أن يُحبط عمله، أو يخاف من سوء الخاتمة.

هناك مخاوف كثيرة تعرض للإنسان فلا يغتر بعمله مهما بلغ فإنَّه ليس بمعصوم.

فالعبد الذي يريد التقرب إلى الله تعالى يجمع بين كثرة العمل مع الوجل والإخلاص، وعدم الأمن من مكر الله تعالى والخوف من سوء الخاتمة، كما قال تعالى في الآيات التي ذكرناها في درس الأمس: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. معناه: يخافون الَّا يتقبل منهم إلى غير ذلك.

وقال الله سبحانه وتعالى عن أنبيائه المعصومين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

وهكذا - بارك الله فيكم - جاء عن صدِّيق هذه الأمة أنَّه قال لو دخلت إحدى رجلي الجنة لما أمنت حتى تدخل الأخرى.

وأيضاً جاء بإسناد صحيح عن سفيان الثوري أنَّه كان يبكي بكاءً شديداً فإذا قيل له في ذلك. قال: أخاف من سوء الخاتمة.

نعم - بارك الله فيكم - يخاف من سوء الخاتمة، وأيضاً الإنسان يخاف أن تذهب أعماله من حيث لا يشعر، (يؤتى يوم القيامة بأُناسٍ معهم حسنات أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً)، لأنَّهم كانوا إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها، أو تذهب في مظالم الخلق ثمَّ يؤمر بهم فيطرحون في النَّار.

وفي الصحيحة للألباني رحمه الله تعالى (٢٥٣٥) عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تقبل له صلاة ولعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع).

فمن الذي يأمن على نفسه ويغتر بعمله إلا الجاهل.



٨- صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى المَكَارِهِ كُلِّهَا   شَوْقاً إِلَى مَا فِيْهِ مِنْ إِحْسَانِ

الشرح:

المنزلة العاشرة: هي منزلة الصبر. الصبر من الأعمال كالرأس من الجسد.

والصبر، هو: حبس النفس على الطاعات حتى تُؤدّى على الوجه الأكمل.

وحبس النفس عن المعاصي والسيئات حتى تُجتنب على الوجه الأكمل. والصبر على أقدار الله المؤلمة بعدم التسخط.

وبهذا يكون الصبر هو الدين كله، فهو أساس عظيم من أسس منازل السير إلى الله تعالى، وغالب المنقطعين في سيرهم إلى الله عز وجل سبب انقطاعهم قلة الصبر، إمَّا أنَّه لا يصبر على الطاعة فيمل ويترك، أو لا يصبر على ترك المعاصي فيغرق فيها، أو يتسخط على القدر المؤلم.
فإذا عرفت هذا عرفت قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر).

ولَمَّا ذكر الله عز وجل أهل الجنة قال سبحانه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.
وقوله: (على المكاره كلها) أي: ما تكرهه النفس الأمَّارة بالسوء، فإنَّها عجولة ملولة، تكره مكابدة الطاعات، وتكره البعد عن الشهوات.

وقوله: (شوقاً إلى ما فيه من إحسان)، أي هذا الصبر سبب الشوق إلى ما يثمره من حسن الحال في الدنيا وكذلك في الآخرة.

وأيضاً إلى المآل الحسن الذي ذكرناه قبل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.



٩- نَزَلُــوا بِمَنْزِلــةِ الــرِّضَى فَهُــمُ بِهَــا قَــدْ أَصْــبَحُوا فِي جَنَّـــةٍ وأَمَـــانِ

الشرح:

المنزلة الحادية عشر: الرضا.

الرضا، هو: اطمئنان القلب وسكونه وعدم جزعه وخوفه.

والرضا يفسره حديث سعد بن أبي وقاص عند ذكر الأذان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، إلا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) الحديث رواه مسلم. فمن قال هذا عند الأذان صادقاً موقناً غفر له ما تقدم من ذنبه.

الرضى بالله جل وعلا رباً ومعبوداً، ومن بلغ هذه المنزلة فلن يشرك بالله جل وعلا في ربوبيته ولا في ألوهيته، ولن يرائي بعمله غير الله سبحانه وتعالى لأنه رضي بالله عز وجل رباً ومعبوداً. ومن رضي بالنبي صلى الله عليه وسلم رسولًا فلن يتبع غيره، ولن يُحدث بدعة ولن يصر على مخالفته.

ومن رضي بالإسلام ديناً فلن يرضى بكل ما يخالف الإسلام، من شرك وبدع ومعصية وتشبه بالكفار، وإقبال على البدع إلى غير ذلك.

فمنزلة الرضى تشمل الدين كله.

وقوله: (قد أصبحوا في جنَّة وأمان) جنة! لأن من بلغ منزلة الرضى فهو يعيش في هذه الدنيا في راحة في اطمئنان وسعادة، في جنة هي أعظم جنان الدنيا، كما هو أيضاً في أمان في الآخرة،

فمن مات على هذه المرتبة العالية الرفيعة فهو في الآخرة في أمان في راحة في اطمئنان، كما أنه في الدنيا يرتاح ويأمن من العواقب الوخيمة، وليس هذا من الأمن من مكر الله لكن يشعر الشخص بالأمن بسبب التوحيد والطاعة، وهذا يعتبر من الأمن العظيم.



١٠- شَكَرُوا الذِي أَوْلَى الخَلَائِقَ فَضْـلَهُ   بِالقَلْـــبِ والأقْـــوَالِ والْأَرْكَـــانِ

الشرح:

المنزلة الثانية عشر : الشكر.

والشكر قرين الصبر، حتى قال بعضهم: الدين يقوم على أمرين على الشكر والصبر.

فهو نصف الدين.

والشكر: هو الثناء على الله سبحانه وتعالى على فضله ونعمه باللسان، والاعتراف بها بالقلب مع حب المنعم، وصرف الجوارح والنعم في مرضاته سبحانه وتعالى.

فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، ولذلك قال الناظم: (بالقلب والأقوال والأركان) يعني: الجوارح.

الشكر أخص من الحمد من جهة تعلقه؛ فهو يتعلق بالنعم الدينية والدنيوية، وأما الحمد فإنه يتعلق بالنعم وأيضاً يكون على كمال الله سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه وتعالى حمد نفسه على كماله، وأمر عباده أن يحمدوه لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، إلى جانب النعم التي أسداها لعباده.

وأيضاً الشكر أعم من جهة آلته، فهو يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد يكون بالقلب واللسان. والله المستعان.

قال الله سبحانه وتعالى في وصف السائرين إليه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، فالله جل وعلا وعد الشاكرين بأنه سيجزيهم أحسن الجزاء.

وقال جل وعلا: ﴿وَاشْكُرُوا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، ولا تستقيم العبادة إلا بالشكر لله جل وعلا: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

هذه المنزلة التي ظنها بعض الناس من أيسر المنازل، تعتبر من أعظم المنازل التي لم يصل إليها على وجه الكمال إلا القلة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾.

الناس يتقلبون بين نعم الله ليلاً نهاراً في دينهم ودنياهم، لكن ما أقل من يشكر هذه النعم، فإذا وفقت لشكر النعمة فإن هذا التوفيق نعمة من الله جل وعلا.

وهذه النعمة بحاجة إلى أن تؤدى شكرها، فتشكر الله جل وعلا على النعمة ثم تشكره أن وفقك لشكر النعمة، ثم تشكره أن وفقك لشكر شكر النعمة، وهكذا سلسلة من الشكر لله جل وعلا لا تنقطع في الدنيا بل ولا في الآخرة، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين﴾، ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ الآية، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

فليكثر العبد من الشكر ولا يمل.



١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَعْ بَذَلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

الشرح:

المنزلة الثالثة عشر: التوكل.

والتوكل، هو: اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضا مع بذل السبب.

وقولنا: (اعتماد القلب) لأن التوكل محله القلب.

وقوله: (صحبوا التوكل) هذا التعبير الجميل (صحبوا التوكل) أي: لازموه كملازمة الصاحب الذي لا يفارق صاحبه، فالمؤمن بحاجة إلى التوكل على الله عز وجل في يقظته وفي منامه، وفي سفره وفي حضره بإقباله وذهابه، في دينه ودنياه، فالتوكل عبادة لا تفارق القلب، ومن فارقت قلبه فقد خسر شيئاً كثيراً. وقوله: (مع بذل جهد) يعني: مع بذل السبب، وفي باب العبادات لابد من بذل السبب وهو الاجتهاد في الطاعات، ومجاهدة النفس في الاستمرار عليها والبعد عن السيئات، وبهذا تعلم أن التوكل أصل عظيم من أصول منازل السير إلى الله تعالى ومن أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فلا يصح الإيمان إلا بالتوكل، والتوكل له ثمرات كثيرة كبيرة عظيمة، قد بُسطت في غير هذا الموضع.



١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ   فَتَبَــوَّؤُا فِي مَنْــزَلِ الإِحْسَــانِ

الشرح:

المنزلة الرابعة عشر: الإحسان.

وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

هذا هو معنى قوله: (على اعتقاد حضوره) كأنهم يرونه كما في الحديث.

وليس هذا من كلام بعض الصوفية الذين يدَّعون أن الله تعالى يحضر عندهم.

ومرتبة الإحسان هي تعتبر من أعلى منازل السير إلى الله جل وعلا، لذلك من قطع المنازل الكثيرة يصل إلى منزلة الإحسان ، وكان حق هذا البيت أن يكون آخر المنظومة، لأن منزلة الاحسان هي المنزلة التي تعتبر أرفع المنازل من منازل السير إلى الله جل وعلا.

ومن رام الوصول إلى هذه المنزلة فعليه بخمسة أمور،

وهذه الخمسة أمور تجمع جميع المنازل:

أولًا: التوحيد الخالص توحيد خالص الذي لا يشوبه من الشرك قليل ولا كثير.

ثانياً : الاتباع التام الذي لا تتخلله بدعة.

ثالثاً: الحرص على الفرائض والنوافل وترك المنهيات جملةً وتفصيلاً.

رابعًا: وهو حسن الخلق، مع الله تعالى، ومع خلقه.

خامسًا: صدق المعاملة، مع الله تعالى، ومع خلقه.

فمن جمع هذه الخمس فقد بلغ رتبة الإحسان.

فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لهذه المنازل العظيمة،

ونسأل الله جل وعلا أن يوفقنا جميعاً للعمل بما نستفيد من هذه الدروس

فإن العلم لا يكون جميلاً على صاحبه إلا بالعمل.

فنسأل الله جل وعلا التوفيق والإعانة والسداد.



١٣- نَصَــحُوا الخَلِيْقَةَ فِي رِضَــا مَحْبُوبِهِم بِــالعِلْمِ والإرْشَــادِ والإحْسَــانِ

الشرح:

المنزلة الخامسة عشر: النصح للخلق.

النصح للخلق رُتبة عظيمة ووظيفة شريفة لمن أخذها بحقها وأدَّاها كما أُمِر، وقد مدح سبحانه وتعالى الآمِرِين بالمعروف والنّاهين عن المنكر في آيات كثيرة.

والمعروف، هو: ما وافق الكتاب والسنّة.

والمنكر، هو: ما خالف الكتاب والسنّة.

وعلى هذا فالأمر بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر يحتاج إلى علم بما يأمر به أو ينهي عنه، ويحتاج أيضاً إلى علم بالطريقة النّافعة التي تؤدِّي المقصد الشرعي بهذا الأمر أو النّهي.

قال سبحانه و تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، كثير من الناس يُحب النصح لكن عنده قصورٌ في العلم أو قصورٌ في الحكمة، وهاتان آفتان تدخلان على كثير من الناس ممن يريد أن ينصح ونيته الخير، لكن بسبب هاتين الآفتين ربما يكون في نصحه من الشر شيءٌ كثير، نقص العلم، أو نقص الحكمة في توجيه هذا العلم.

فيخرج كثير من الناس مثلًا باسم النصيحة إلى التعيير أو الغيبة أو النميمة أو الشَّماتة.

والله المستعان.

وهذه المنزلة العظيمة تُعتبر من أسس الدّين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة)، وبايع جريرٌ رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم.

وقوله: (في رضى محبوبهم) يعني: الدافع للنصح هو ارضاء الله سبحانه وتعالى، وأيضًا إيصال الخلق إلى رضى ربهم سبحانه وتعالى، فهؤلاء خير الناس للناس، يقربون الناس إلى الله تعالى، ويباعدونهم عن ما يُسخط الله سبحانه، لكن كما تقدم لابد أن تكون النَّصيحة بالعلم علم الكتاب والسنة وأيضاً العلم بالطرقة الصحيحة وهي الحكمة.

وقوله: (والإحسان) أي: إلى جانب النصح فإنّهم يبذلون من الإحسان بالنفقة والمعونة ودفع الشرِّ عن المسلمين، فأبواب الخير التي يبذلونها للمسلمين كثيرة متنوعة منها العلمية ومنها المالية ومنها الفعلية، وهذه المرتبة مرتبة قَلَّ من يصل إليها، وفي الحديث: (أحبُّ العباد إلى الله أنفعهم لعياله) رواه عبد الله بن أحمد من حديث أنس رضي الله عنه وحسنه الألباني.



١٤- صَـحِبُوا الخَلَائِـقَ بِالْجُسُـومِ وإنَّـمَا   أَرْوَاحُهُـــمْ فِي مَنْـــزِلٍ فَوْقَـــانِي

الشرح:

المنزلة السادسة عشر: وهي تعلق القلوب بالله سبحانه وتعالى.

قوله: (صحبوا الخليقة) أي صحبوهم بالأخلاق الطيبة وبالنصيحة، ومجالستُهم للخلق بقدر الحاجة، ومع ذلك فإذا احتاجوا إلى مجالسة الناس فإنما جالسوهم بالجسوم، وأما بالنسبة لأرواحهم وقلوبهم فهي تحوم وتدور وتنشغل بأمر فوقاني، يعني: بأمرٍ رفيع وهو طلب رضا الله تعالى والقرب منه، والسعي في درجات النعيم والحرص على الفوز بأعلى جنات الفردوس.

وهؤلاء الذين جمعوا بين صلاح أنفسهم، بالإخلاص والاتباع والاجتهاد في الطاعات والبعد عن الشهوات المحرمة، ثم سَعوا جاهدين في صلاح الخلق بالنصح والإرشاد والتعليم وتوجيه الناس للتوحيد واتباع السنة، والإحسان إليهم في دينهم ودنياهم، هؤلاء خير الناس وأرفع الناس درجة وكمالاً، ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيه صلاح أنفسهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فيه صلاح غيرهم أيضًا.

علم وعمل ودعوة وصبر، والله المستعان.

****

١٥- رَعُـوُا الْحَقَـائِقَ وَالْمَشَـاهِدَ كُلَّهَـا خَوْفـاً عَـلى الإِيْـمَانِ مِـنْ نُقْصَـانِ

الشرح:

المنزلة السابعة عشر: الرعاية.

ومعنى الرعاية: الحفاظ والحرص على عدم ذهاب الخير والعمل.

وهي منزلة مهمة جداً فأنت تسعى لتحصيل الأعمال، فإذا حصَّلت هذه الأعمال الصاحة فارعها واحفظها وابتعد عن كل ما يجعلها هباءً منثوراً.

والله المستعان، بارك الله تعالى فيكم.

يؤتى يوم القيامة بأناسٍ لهم حسنات عظيمة فيجعلها الله تعالى هباءً منثوراً، ذهبت إمَّا في مظالم وإمَّا في سيئاتٍ أذهبت تلك الحسنات، فلا يغتر الإنسان بعمله كما تقدم في بيت سابق.
فعلينا أن نجعل منزلة الرعاية من أهم المنازل، نحرص على العمل، فإذا فزت ووفِقت إليه فاحرص على الحفاظ عليه حتى تجده في ميزان حسناتك.

بعض الناس قد يعمل ثم لا يرى شيئاً في ميزانه، ذهبت بسبب أو بآخر.

وقوله: (الحقائق) هي بمعنى الأعمال الصالحة، والمشاهد هي المنازل التي سبق ذكرها.

وهذه المحافظة كلها لأمرين اثنين: الأول في الدنيا والثاني في الآخرة.

أما الأمر الأول الذي يخاف منه: هو الذي تقدم ذكره أن يأتي يوم القيامة ثم لا يجد تلك الأعمال في ميزان حسناته.

وأمَّا الثاني الذي في الدنيا فهو الخوف على الإيمان من النقص، فإن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ينقص بترك الطاعات أو فعل المحرمات وهؤلاء يحرصون على التزود من الأعمال

والحفاظ على ما قد عملوه حتى لا ينقص إيمانهم، ولهذا قال الله جل وعلا في أهل الرعاية: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾. فأهل الرعاية في زيادة إيمان، وأهل الغفلة في زيادة نقص. قال عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن من لا يأمن جارهُ بوائقه)، وقال في من يزني: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، فالتقصير في الطاعات أو فعل السيئات ينقص الإيمان، (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر). بل إن ترك العمل الصالح ولو كان جائزاً يُنقص الايمان: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكُنَّ). ونقص دينهن بترك الصلاة وقت الحيض والنفاس، وبعض الناس قد يترك النوافل مثلاً فهذا فيه نقص الإيمان فعليك بالتزود، اجمع بين الحرص على العمل والرعاية لهذه الأعمال أشد ما يكون.



١٦- عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا قَـدْ فَرَّغُوهَـا مِـنْ سُـوَى الـرَّحْمَنِ

الشرح:

المنزلة الثامنة عشر: تنقية القلب عن الشواغل.

فهذا القلب ينشغل إمَّا بالدنيا والأضغان والأحقاد إلى غير ذلك.

وإمَّا بحب الله عز وجل والسعي في مرضاته والشوق إلى جناته والرغبة في تحريك الجوارح في ذكره وطاعته. (كل الناس يغدوا فبائعٌ نفسه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها).

لابد لهذا القلب ولهذا الإنسان من اشتغال إمَّا بالخير وإمَّا بالشر.

فمن أهم المُهمات أن تراقب قلبك وأن تنظُر إلى الشواغل التي فيه، فإن كانت دنيوية أو ما هو أقبح من هذا وهي شواغل ذنوب، فاحرص على علاج قلبك واسعَ إلى تفريغ هذا القلب عن هذه الشواغل ليحلَّ محلَّها ما هو مقرِبٌ إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: (قد افرغوها من سوى الرحمن) امتلأت قلوبُهُم بحب الله تعالى، وحب ما يقرب إليه، وبالخوف من الله عز وجل والبعد والبغض لما يكرهه ويأبه.

وإن كانوا احتاجوا إلى الدنيا، فإنَّما يجعلون الدُّنيا في أيديهم، والقلوبُ منشغلة بالله سبحانه.

اقرأ قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾

الخشوع من صفات القلب السليم ، الذي سلم من الشرك والبدع ، سلم من المعاصي، وكلما كان القلب أسلم كان أشدَّ تعلقاً بالله سبحانه وتعالى، وأكثرَ امتلاءً بحب الله سبحانه وتعالى، قال الله جل وعلا: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، ومن سَلِم قلبه في الدُّنيا، سلم في الآخرة من جميع المنغِّصات والكروب.

وقال الله جل وعلا في وصف ابراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

أحبُّ القلوب إلى الله جل وعلا التقي النقي الذي ليس فيه غلٌّ ولا حسد ولا حب ولا رغبة في الدنيا.

هذه مراتب البلوغ إليها وفيها صعوبة على الكثير لغلبة الهوى، لكن تتيسر باستمرار المجاهدة، كالبناء كل يوم يضع حجراً، فما تمر السنين إلا وقد بنى قصراً عظيماً، وهكذا القلوب تحتاج إلى مجاهدة وإصلاح شيئاً فشيئاً.

جاء بإسنادٍ صحيح عن ثابت البُنَاني أنَّه قال: جاهدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة، ثمَّ قمتُّه رغبةً عشرين سنة.

وجاء عنه بإسنادٍ صحيح: أنه كان يدعوا الله جل وعلا أن يعطيه الصلاة في قبره.

لحبه للصلاة، فرؤيَ في المنام وهو يصلي في قبره.



١٧ - حَرَكَـاتُهُمْ وَهُمُـومُهُمْ وَعُـزُومُهُمْ   لله لَا لِلْخَلْـــقِ وَالشَّـــيْطَانِ

الشرح:

المنزلة التاسعة عشر: التجرد لله تعالى والحفاظ على الوقت.

وهذه المنزلة تشبه المنزلة التي قبلها، لكن يظهر أن المنزلة السابقة في ما يتعلق بالقلب، وهذه المنزلة في ما يتعلق بالجوارح، فقلوبهم متعلقة بالله تعالى، وحركاتهم وأجسامهم وجوارحهم منشغلة في جميع وقتها مع طاعة الله سبحانه وتعالى.

فاعتنوا بالطّاعات الباطنة وكذلك بالطاعات الظاهرة؛ حتى غلبت على أوقاتهم، فربما حصل لهم النقص الكثير من أمور الدُّنيا، ولم يجدوا فرصة لسد تلك الثغرات والحاجات؛ لكثرة انشغالهم بما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

إن عرض لك عارض من الدنيا فأول ما تجد فرصة فراغ منه فانصبَّ على العبادة، وهكذا إذا كنت في طاعة وفرغت منها فانصبَّ في طاعة أخرى، املأ وقتك بما يعود عليك بالنفع، فإنَّ الشخص الذي اعتاد على أن يملأ وقته بالذكر والخير، يجد من السعادة والأُنس بالله تعالى ما لا يجده الذين يبحثون عن السعادة في أمور الدنيا.

أيضاً من فوائد الحرص على الوقت في الطّاعات أن الشخص ينشغل عن المعاصي والتفكير فيها.

وختم المنظومة بهذه المنزلة جميل جداً.

كأنّه يقول: لا يبلغ المنازل السابقة إلا من حرِص على وقته في الطّاعات.

****

١٨ - نِعْمَ الرَّفِيْقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي تُفْضِي إِلَى الخَيْرَاتِ وَالإِحسانِ

الشرح:

ختم بهذا البيت لبيان أن الشخص في كثير من المنازل يحتاج إلى من يُعينه من الناس(١)، ومن ينشطه ومن ينصحه ويثبته، وهؤلاء الناس هم الذين يعتنون بأنفسهم والذين يسعون لرضى ربهم، والذين غلبت عليهم المجاهدة في الطّاعات فهؤلاء نعم الرفيق، هم الجلساء الصالحون الذين مثَّلهم النبي عليه الصلاة والسلام بحامل المسك.

قال الله تعالى في هؤلاء الذين يترافقون ويتسايرون في الخير ويعين بعضهم بعضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

لا تجالس إلا تقيًّا لأن المرء على دين خليله، وصُحبة العُبَّاد تنشط على العبادة، انظر صلاة الجماعة تجد من يسرِها وخِفَّتِها وضبطها ما لا تجد في الصلاة وحدك، هكذا التعاون على الخير فيه خير عظيم، وأمهات العبادات تجدها مجتمعة ، الصيام يصوم الناس جميعاً، وهكذا الحج والصلاة والزكاة يُخرِجون زكاتهم في شهر واحد، الجهاد لا يقوم إلا بالتعاون.

فإذا وجد الشخص من يعينه على الخير و الطاعة فذلك توفيق عظيم من الله تعالى، حتى في العلم إذا اجتمع الطلبة وتعاونوا وتناشطوا وراجعوا مع بعضهم يحصل خير كثير.

---

(١) وقد يكون المعنى: ما سبق من النصح والمنازل نعم الرفيق لمن اشتغل بها.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته

وأن يرزقنا التقوى ظاهراً وباطناً

وأن يوفقنا للسير إلى مرضاته والفوز بجناته

ولا حول ولا قوة إلا بالله

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

